عنوان المحاضرة السادسة :

السرد الاجتماعي

عنوان المحاضرة السادسة : السرد الاجتماعي

سلك السرد العربي القديم توجهات مختلفة ،ومنها الفلسفي والعجائبي والاجتماعي، واحتل السرد الواقعي والاجتماعي حيزًا كبيرًا في تراثنا العربي، فركزت المرويات السردية على ظواهر اجتماعية عديدة سنتعرض لها:

أولًا–الرؤية الاجتماعية في السرد العري القديم:

إن الغالب في النصوص السردية العربية هو توجهها الاجتماعي ، وكانت لغايات تعليمية وتربوية .

1–مفهوم القصة الواقعية: إن القصة الواقعية هي التي شملت على موضوعات الحياة المتنوعة ،وتدوم أحداثها في واقع حقيقي أو متخيل شبيه بالواقع المعيش، وأبطالها شخصيات تتحرك وفق منطق الحياة الواقعية».

تبلورت القصة الواقعية العربية في إطار ظروف اجتماعية مضطربة ميّزها التفاوت الطبقي في المجتمع العباسي .

2–أبرز أعلام السرد الاجتماعي:

كتب الأدباء العرب في مواضيع اجتماعية عديدة ، ويأتي في مقدمتهم :

أ–الجاحظ:يعد الجاحظ أول من اهتم بالشخصيات المهشمة ، وأول من وجه مرآته الفنية باتجاه قاع المجتمع ، فوطد بذلك قاعدة لفن قصصي واقعي ».

ب–ابن الداية (أحمد بن يوسف):يعد كتاب المكافأة لابن الداية صورة ناضجة عما وصلت إليه قدرة على تصوير القصة الواقعية في القرن الرابع الهجري لما يتميز به من قدرة على تصوير الاجتماعية والسياسية في عصره ،وبساطة محببة وبالإضافة إلى نكهة شعبية واضحة على مستوي الشخصيات واللغة».

لايقتصر الحديث عن البخل عند الجاحظ أو ابن الداية، بل هناك أدباء كُثر تناولوا الظاهرة الاجتماعية بأسلوب أدبي.

ج–مقارنة بين الجاحظ والبغدادي والبشري :

مماهو معلوم أن الجاحظ هو أول من خصص كتابًا لموضوع البخل ، وتأثر به أدباء ، ومنهم « الخطيب البغدادي الذي يعد من الذين خصصوا للبخل كتابًا مستقلًا بعنوان "البخلاء"».

نلاحظ أن الجاحظ لم يقسم كتابه البخلاء إلى أجزاء ؛ وإنما عرض القصص والأخبار عرضًا أدبيًا فيه متعة فنية وإثارة الشعور الأدبي ؛ ولكن البغدادي قسّم كتابه إلى ستة أجزاء».

هناك اختلاف بين الجاحظ والبغدادي من حيث منهجية التأليف ، وقد سادت النزعة التاريخية في السرد كتاب البخلاء للبغدادي، وفي المقابل طغت الجوانب الفنية في السرد في كتاب البخلاء عند الجاحظ، وهنا نرى بوجود فرق بين أسلوبي الجاحظ والبغدادي، ولكن موضوعهما واحد وهو معالجة ظاهرة البخل .

هناك تشابه بين بعض موضوعات الأدب الفكاهي عند البشري ، والموضوعات التي أدار الجاحظ حولها معظم فكاهاته ، ويتمثل هذا التشابه في الموضوعات الآتية :

☒ الحديث عن البخل وتصوير مسالك البخلاء

☒ التطفل والطفيليون: وهي من الموضوعات التي اشترك فيها البشري والجاحظ

☒ المكيديون الشحاذون:هم الذين تحدث عنهم الجاحظ،وللبشري حديث عنهم في المختار تحث عنوان الشحاذون

☒ صور فيه إلحاحهم إقلالهم للناس بأسلوب طريف».

نلاحظ تقارب بين البشري والجاحظ من حيث الموضوعات الاجتماعية المتناولة ،وطريقة تصوير الشخصيات البخيلة «لقد كان الجاحظ من أقدر الناس على الوصف والتصوير، إذ نشأ منذ طفولته قوي التصور، دقيق الملاحظة».

برع الجاحظ في خاصية التصوير النفسي لشخصية البخيل ووصفها بدقة، مما تجعل المتلقي يتفاعل مع الشخصية .

ثانيًا– فن المقامات في التراث العربي :

فن المقامة هو قديم له جذور في تراثنا العربي ، وهو وليد الظروف الاجتماعية والثقافية في المجتمع العباسي.

1–تعريف مصطلح المقامة:

نتعرض لمفهوم مصطلح المقامة في اللغة ثم في الاصطلاح .

أ– **المقامة في اللغة** : إن الجذر اللغوي للمقامة يحيل على المجالس أو جماعة من الناس، وهو مأخوذ من الفعل : قام ويقوم قوامًا،وهو موضع القدمين ، وتطَّورت دلالة المقامة لتعني الأحاديث، التي تروى في المجالس».

تعني المقامة في اللغة مكان القدمين أو المجلس، والمقامة كذلك هي الحديث الذي يروى في المجلس، وغايته التكسب بالمال

ب–**اصطلاحًا:** إنَّ المقامة هي نوع من القصة القصيرة، وهو بليغ ومسجوع يجري على لسان رجل ماكر يحتال على الناس، تنتهي المقامة على عبارة أو وعظ أو نكتة دينية أو أخلاقية».

تعد المقامات من القصص القصيرة تقوم على البراعة اللغوية في البناء ،وتخلص إلى نكتة أو موعظة « والمقامة هي قصص خيالية مختلفة لأغراض والموضوعية فيها سخرية شديدة،ونقد لاذع، وفيها ظروف من الأنواع التخابث لتكسب».

اتفق المدلول اللغوي مع الاصطلاحي لمصطلح المقامة في الأحاديث القصصية القصيرة ،التي تروى في المجالس الأدبية.

2– نشأة فن المقامات وتطوره :

في البداية تجدر الإشارة إلى مسألة الريادة في تأليف المقامات العربية، حيث «ظهرت مشكلة الريادة الأدبية في فن المقامة عند النقاد ، وقد أجمعوا على أن ابن دريد مبتكر فن المقامة».

كانت بدايات التأليف في المقامة عند علماء اللغة ،وقد أضفوا أسلوبهم البلاغي عليها « ونجد النماذج التقليدية في البنية السردية للمقامة عند الهمذاني والحريري والواسطي والرازي واليازجي في القرن الرابع الهجري ثم ظهرت مقامة الزمخشري في القرن السادس الهجري واستغنى فيها عن البطل، واكتفى براو يخاطب نفسه واعظًا، ولم تلتزم مقامات ابن الجوزي بقواعد المقامة ثم توالت محاولات الخروج عن البنية التقليدية عند القواس والسيوطي».

إن المقامات العربية لم تسلك بنية واحدة، وتطورت من جعل المؤلف في المقامة بطلًا واحدًا في القصة إلى تعدد الأبطال أو الاستغناء عن البطل كليًا.

3-أبرز عناصر المقامة : يرى د. إحسان عباس أن المقامة ولدت قطعة نثرية مسجوعة قصيرة ذات طول محدد ، وفي الغالب فيه البطل متنكرًا ،وهي بين "عقد وحل" ويكون الحل أشاع للتشويق».

ومن أبرز العناصر الأساسية المكونة لبنية المقامة العربية البطل المكدي ، وهو شخصية محورية ،بالإضافة الى العقدة والحل..الخ ، ويشترط في كل مقامة الطول المحدود .

4-البنية السردية للمقامات العربية :

هناك بعض الأشكال السردية على وجه العموم ظهرت في نماذج المقامات، ومنها نذكر:

أ-سرديات العقوق: فهي تنكر نسبتها إلى أصل معروف.

ب- الكتابة البلاغية المهيبة والساحرة:من خلال الشبكة اللغوية المعقدة والصياغة البديعية

ج-صياغة الهمذاني :التأمل والإفراط في السبك (حبكة) ، وامتاز الهمذاني كذلك بالبداهة والارتجال ، وأما الحريري فعرف بالصيغة وجوده السبك ».

تتفق جميع المقامات العربية في الأسلوب الرفيع وموضوعها الكدية « ويعد الفن القصصي ضعيف في المقامة لقصرها،ثم لأن القصة ليست غاية،بل واسطة وتمتاز المقامات بجمال لغتها، وكثرت غريبها، واعتمادها على المجاز أكثر من الحقيقة».

إن المقامة لون قصصي اجتماعي مختلف عن بقية الأنواع الاجتماعية في كونها تنحو منحى الخيال في أحداثها، وتعتمد على الأساليب البلاغية .

5- نموذج عن المقامة :

صدرت مقامات عربية كثيرة فيها الرديئة أوالجيدة،ومن أحسن المقامات في السرد نذكر«نجاح المقامة المضرية للهمذاني (المضرية:اللحم المطبوخ باللبن الحامض)وجسَّدت شخصية المسكين ،ولقد هيمن أسلوب السرد الذاتي في المقامة».

استهل بديع الزمان الهمذاني المقامة المضرية بقوله:«حدثنَا عيسى ابن هشَام فقَال :كُنتُ بالبَصرة،ومَعي أبُو الفَتح الإسكندري رَجُل الفَصَّاحة يدعوهَا فتُوجيبه،والبلاغَةِ يَأمُرهَا فَتُطِيعُه».

من خلال النموذج نلاحظ الإغراق في الصنعة البديعية،وإن مامّيز مقامات الهمذامي هو احتفالها بالمحسنات البديعية،وفيها نقد لاذع

	الجاحظ	بديع الزمان الهمذاني
أوجه الشبه	*لهما نفس التوجه السردي الاجتماعي في معالجة القضايا الاجتماعية *بلاغة الأسلوب عند كليهما * توفر طابع السخرية عند كليهما *كلاهما عالجا ظاهرة اجتماعية ، وهي البخل .	
أوجـــــه الاختلاف	قصصه طويلة وشخصياته مستوحاة من الواقع	قصص الهمذاني قصيرة ، وشخصياته مبتكرة .
	عقلانية الجاحظ في معالجة القضايا الاجتماعية	غلب الطابع الأدبي على فكر الهمذاني.

عنوان المحاضرة السادسة : السرد الاجتماعي

لفئة اجتماعية (التجار) وتعد المقامة المضرية من أبدع ماصنع الهمذامي فيها من جمال القصة، وروعة الفن ودقة الوصف ، وحسن الانتقال واتساق الأفكار والسحرية والفكاهة».

نلاحظ من خلال معطيات الجدول نلاحظ أنه على الرغم من توحد الجاحظ والهمذامي في موضوع النص، وبعض الخصائص كالسخرية والفكاهة ؛إلا أنهما اختلافا في أسلوب السرد ،فالجاحظ عقلاني ، والهمذامي له نزوع أدبي .

ومنه إذن ماجمع الجاحظ بالهمذامي هو تناول موضوع واحد ، وهو اجتماعي تمثل في ظاهرة البخل والكدية، ومع الاختلاف في طريقة السرد عندهما، والجاحظ عقلاني في المعالجة الأدبية،وسرد الحكايات،وأما الهمذاني فأسلوبه ساخر ممتع .

عنوان المحاضرة السادسة : السرد الاجتماعي